الشهابُ الثاقبُ

في

ذَمِّ الخليلِ والصَّاحِبِ

تأليف

الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

اختصره من كتاب شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل

الوزير جمال الدين علي بن ظافر الأزدي

صححه وعلق عليه

أحمد عبيد

الطبعة الأولى بنفقة

المكتبة العربية في دمشق
لأصحابها عبيد اخوان

مطبعة الترقي بدمشق
١٣٦٨/٢/١



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة المصحح

الحمد لله على ما أتاحَ من نعمه ، وأَزال من نقمه ، وأَولى من برّه ، وأَوزع من شكره ، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى ، وصفيه المجتبي ، سيدنا محمد النبي المختار ، وعلى آله وصحبه الأوفياء الأبرار .

وبعد فهذه رسالة آلت إلينا منذ سنوات من مكتبة صديقنا المرحوم المبرور الشيخ عبد الرحمن سلام ، العالم الأديب ، أمين فتوى الجمهورية اللبنانية السابق ، فعزمنا على نشرها لأننا رأينا ما تضمنته موافقاً لما عليه كثير من أهل هذا العصر ، كما كان منطبقاً على بعض أهل العصور السالفة ، وكما سيكون فيما يُستأنف من الأزمان الصفة الغالبة لمعظم من فيها من المعارف والإخوان . إذ ليس تخلو أمةٌ ولا عهد ، من رجال لا وفاءَ لهم ولا عهد ، ولكنَّ هذا لا يعني أن الأمم كلها ، في جميع العهود ، تتصف بالنكث وقلة الإنصاف ، معاذ الله أن يدَّعي أحدٌ هذا فيعمّ بالحكم على العالم ولا يخصّ ، فان في كل قوم أخلّاء أودّاء ، وفي كل زمن سُجراء أَوفياء ، على تفاوت ما بينهم في الكثرة والنَّدرة ، والعزة والوفرة ،

غير أن الوفاء كان في العصر الأول الصفة الغالبة على أهله ، ثم ما زال يضعف متنه ، ويَغيض مَعينه ، حتى كاد الغدر يصبح من الصفات العامة لعامة إخوان هذا الزمان :

فاذا ظفرتَ وما إخالك ظافراً بموفّقٍ تخذ الوفاءَ وشاحا
فاشدُد يديك بحبله وتولَّه واجعله درعاً واقياً وسلاحا (١)

أما أنا ، فعني أحدثك أيها القارئ الكريم ، أن الله سبحانه — وله المنة — قد خوّلني من ودّ الأصدقاء ، وحسن عهدهم ، وجميل رعايتهم ، ما دونه منيةُ المتمني ، فإنني ما حللت بلدة ، ولا دخلتُ مدينة ، إلا لقيت فيها من برّ الإخوان المسعفين وعونهم ، ما لا قِبَل لي بالقيام بحق شكره ، وأداء واجب المكافأة عليه ، فأكِلُ ذلك إلى الله تعالى ، وأسأله أن يتولاهم جميعاً — حيثما كانوا — بعنايته ، فهو الولي القادر .

وصف المخطوطة وطريقة التصحيح

اعتمدنا في نشر هذه الرسالة على المخطوطة الفريدة ، وهي تسع ورقات أولاها بخط أحدث من سائرها ، لا تاريخ لها ويظهر أنها من خطوط ما بعد الألف ، وتختلف مسطرتها بين الـ ٢١ سطراً

---

(١) من قصيدة لي تجدها في طرائف الحكمة ٢ : ٨٣

والـ ١٩ طول الصفحة ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ١٤ ½ وطول المكتوب منها ١٧ ½ وعرضه يتراوح بين ١١ و ١ ½ وهي نسخة كثيرة الخطإ والتحريف . كتب بعض أشعارها متداخلاً بين السطور بحيث لا يشعر القارئ بأنه من الكلام المنظوم .

وقد بحثنا في فهارس المكتبات العامة ، ورجعنا إلى كتاب (بروكلمان) المستشرق الألماني ، لعلنا نظفر بنسخة أُخرى منها أَو من الأصل للمقابلة عليها فلم نهتدِ إليها سبيلاً ، فاضطررنا إلى الرجوع إلى بعض كتب الأدب والأخلاق والتصوف ، فأصلحنا على ماوجدناه فيها بعض ما في رسالتنا هذه من الخطإ والتحريف ، كما زدنا منها ما تحسن زيادته وهو الموضوع منها بين قوسين مستطيلين [ ] ، وأَشرنا في الحاشية إليه ، وربما أَضفنا إلى الحواشي ما يلائم المعنى أَو يتصل به . أَما ما لم نجده في هذه الكتب فقد أَصلحناه كما رجح عندنا أَو ظننا أَنه أَقرب إلى الصواب .

تراجم الأعلام

وعمدنا إلى التعريف بكل علَم ورد ذكره فيها ، معتمدين على كتاب الأعلام من تأليف صديقنا الكريم الأستاذ خير الدين الزركلي ، فكل ترجمة غير معزوّة إلى كتاب فإليه تُعزى ، وما

لم نجده في الأعلام أخذناه من غيره وذكرنا مأخذه . على أننا نعترف بأن بعض الأعلام لم نستطع أن نجد له ذكراً في شيء مما في أيدينا من كتب التراجم فلم نجد بداً من إهمال التعريف به .

تخريج الاحاديث

هذا وفي الرسالة بعض أحاديث ذكرنا من خرّجها وأحاديث أخرى لم نجد في ما أمكن الرجوع إليه من كتب الحديث ذكراً لها بألفاظها المذكورة في هذه الرسالة ، فاستعنا بصديقنا الشيخ أبي عبد الرحمن ناصر الدين نوح نجاتي على البحث عنها ، فكتب إلينا ما نحن مُثبتوه في موضعه من التعليق مختتماً بحرف (ن) .

ترجمة مصنف الاصل

أما مصنف الأصل فلم يترجم له من المتقدمين غير الصلاح الكتبي في فوات الوفيات ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وعن الأول نقل الأستاذ الزركلي في كتاب الأعلام ، ومحمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين ، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، ويوسف اليان سركيس في معجم المطبوعات ، واطلع الأستاذ الزركلي على مصدر آخر مخطوط لم يتسنّ لنا الاطلاع عليه ، ألا وهو دول الاسلام (للحافظ الذهبي) ، وزاد بروكلمان على المصدرين السابقين كتاب نفح الطيب للمقري ، فرجعنا إليه فلم نجد فيه إلا

نبذاً أدبية منقولة من بدائع البدائه ، وهو الكتاب المطبوع من مؤلفات ابن ظافر ، وقد قرأناه واستفدنا منه بعض أخباره ، وعرفنا أسماء جماعة من أصحابه الذين روى عنهم ، فكان فيه بعض الغنية وإن كان دون الغاية .

اسمه ولقبه

هو الوزير جمال الدين أبو الحسن علي ابن العلامة أبي منصور ظافر ابن الفقيه المالكي الحسين الأزدي المصري .

مولده ووفاته

أرخ الصلاح الكتبي مولده سنة سبع وستين وخمسمائة ، وعنه نقل المعاصرون جميعاً ، ولم يذكر ياقوت مولده بل قال توفي في منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة عن ثمان وأربعين سنة ، فيكون مولده على هذا سنة خمس وستين وخمسمائة . وأرخ الصلاح وفاته سنة ثلاث وعشرين وستمائة . وكذلك أرخها حاجي خليفة في غير موضع من كشف الظنون ، فيكون عمره على هذا ستاً وخمسين سنة ، وبه أخذ المعاصرون ما خلا بروكلمان ، فقد أرخ المولد على قول الصلاح ، والوفاة على قول ياقوت ، فعمره على هذا ست وأربعون سنة وذكر جرجي زيدان أن ابن ظافر وصل في كتابه الدول المنقطعة إلى

سنة ٦٢٢ ، فان صحّ هذا رجح قول الصلاح ، بيد أن الأستاذ سامي الدهان أخبرنا أنه اطلع على هذا الكتاب وصور قسماً منه ، وهو يعتقد أن أخبار الدولة العباسية التي بلغ فيها سنة ٦٢٢ ليست من كتاب الدول المنقطعة ، فعندئذ يكون الترجيح من غير مرجح ، ويبقى الأمر محتاجاً إلى التحقيق . وكان مولده في مدينة القاهرة .

شيوخه وأصحابه

لم يذكر ياقوت أحداً ممن قرأ عليهم أو روى عنهم ، ولا أحداً ممن قرأ عليه أو روى عنه ، ولكنّ الصلاح الكتبي أفادنا أنه تفقه على والده الذي كان مدرساً بمدرسة المالكية وأسماها بروكلمان المدرسة القمحية [1] ، وقرأ عليه علم الأصول ، ثم درَّس بعده فيها [2] . وقرأ الأدب وبرع فيه وفي علم التاريخ وأخبار الملوك ، وحفظ في ذلك

---

(١) أنشأها السلطان صلاح الدين بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص بالفسطاط) ورتب فيها أربعة من المدرسين وعدة من الطلبة وهي أجل مدرسة للفقهاء المالكية ويتحصل لهم من الضيعة التي وقفها عليهم بالفيوم قمح يفرق فيهم ، فصارت لا تعرف إلا بالمدرسة القمحية ، وقد أحاط بها الخراب . (خطط المقريزي طبعة بولاق ٢ : ٣٤٦) .

(٢) قال في « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ص ١٣٠ : ظافر بن الحسين ابو منصور الأزدي المصري شيخ المالكية ، انتصب للافادة والفتيا ، وانتفع به بشر كثير ، مات بمصر في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة قاله الذهبي في العبر من تاريخ مصر اهـ . قلت : على هذا فقد درّس المؤلف وعمره ثلاثون سنة .

جملةً وافرةً ، وكان له علوم جمة ، وفضائل كثيرة . وقد ذكر هو في كتابه بدائع البدائه جمهرة كبرى ممن روى عنهم كتب الأدب ، ومُلح الأخبار ، وطُرف الأشعار ، نكتفي بذكر طائفة ممن عرفنا تراجمهم ، فنورد أسماءهم مرتبةً على حروف المعجم مع بيان وفياتهم ومواليدهم إن أمكن منقولة من شذرات الذهب والأعلام وغيرهما :

١ — القاضي أبو المكارم أسعد بن الخطير المعروف بابن مَمّاتي (٥٤٤ — ٦٠٦) .

٢ — بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور المعروف بابن السنجاري (٥٣٣ — ٦٢٢) .

٣ — شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلي (٠٠٠ — ٦٢٧) .

٤ — تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي (روى عنه بالإجازة) (٥٢٠ — ٦١٣) .

٥ — القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن شيث (٠٠٠ — ٦٢٥) .

٦ — القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري المعروف بابن الحرستاني (روى عنه بالاجازة) (٥٢٠ — ٦١٤) .

٧ — أبو الحسن علي بن فاضل بن صمدون الصوري ثم المصري (٠٠٠ — ٦٠٣) .

٨ — القاضي كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن المعروف بابن النبيه الشاعر (٠٠ - ٦١٩) .

٩ — بهاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الخراساني المعروف بابن الساعاتي (٥٥٣ — ٦٠٤) .

١٠ - الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبي (أنبأه إجازة) (٥٤٤ — ٦٣٣) .

١١ — أبو الفرج نصر الله ابن القاضي أبي العز هبة الله المعروف بابن بُصاقة الكاتب (٥٧٧ — ٦٥٠) .

١٢ — القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك الشاعر (٥٥٠ — ٦٠٨) .

أما الرُّواة عنه فاكتفى منهم صاحب الوفيات بقوله : روى عنه القوصي وغيره . والقوصي هذا هو شهاب الدين إسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن الفقيه الشافعي الأنصاري الخزرجي القوصي ، ولد بقُوص سنة ٥٧٤ ورحل إلى مصر ثم قدم إلى دمشق سنة ٥٩١ واستوطنها ، وكان أديباً إخبارياً فصيحاً مفوَّهاً بصيراً بالفقه ، وترسل إلى البلاد ، وولي وكالة بيت المال بالشام ، وتقدم عند الملوك ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٣ ودفن بداره التي وقفها دار حديث[1] .

---

(١) انظر الدارس في تاريخ المدارس ١ : ٩٧ و ٤٣٨

نبذ من أخباره

لقد علمنا مما أورده مؤرخوه أنه درَّس أولاً في مدرسة المالكية بالقاهرة خلفاً لوالده ، وهي المدرسة القمحية كما قدمنا . ثم ترسل إلى الديوان العزيز ، وولي وزارة الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ثم انصرف عنها وعاد إلى مصر ، فولي فيها وكالة بيت المال مدةً ، ثم اعتزل الأعمال ، وأقبل في آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية وإدمان النظر فيها إلى أن توفي .

وقد حدث هو عن نفسه في كتابه « بدائع البدائه » بأخبار أرّخ بعضها فكان ما ملخصه :

في سنة ٥٩٩ كان بدمشق .

وفي سنة ٦٠١ كان في خدمة الملك العادل بالاسكندرية ودخلت سنة ٦٠٢ وهو مقيم في خدمته .

وفي سنة ٦٠٣ مثل بالجناب العالي الملكي الأشرفي وذلك قبل أن تمسك بحبله ويأويَ إلى ظله .

وفيها ورد إلى (الرُّها) برسالة إلى الملك الأشرف .

وفي شتائها عاد من ميافارقين إلى ماردين .

وفي سنة ٦٠٧ أنفذه السلطان الملك العادل برسالة إلى الموصل فمرّ في عودته على الملك الأشرف فأمسكه بالرُّها نحو شهر .

وفي سنة ٦٠٨ في أواخرها مضى الملك الأشرف إلى مدينة نصيبين وكان المؤلف في أوائل خدمته للأشرف مقيماً فيها لتدبير أحوالها، وتزجية وجوه أموالها.

هذه هي الحوادث التي أرّخها المؤلف نفسه، ومنها عرفنا أن ابتداء خدمته للملك الأشرف كان سنة ثمان وستمائة، أما انصرافه عن هذه الخدمة فقد حدثنا عنه بما يلي:

كان يصحبني وأنا في خدمة الأشرف أبقاه الله رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخير، هاجر إلى دمشق يقال له جمال الدين علي ابن أبي طالب [1]. فلما رأيت ما آلت عليه الأحوال من الاختلال، وقويت في نفسي شهوة الانفصال، كنت ليلي ونهاري مكباً على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله وتيسير ما أرجوه منه، وأقمت على هذا مدة طويلة بحيث كان الأمر مشهوراً عند كل أحد من الحاشية. فأخبرني أنه بات مشغول القلب بما يسمعه مني في ذلك فرأى [2] كأنه في جامع دمشق تحت قبة النسر، وإلى جانبه شيخ وكأنهم ينتظرون الصلاة،

---

(١) في دار الكتب الظاهرية نسخة جميلة من الصحاح للجوهري كان أهداها إليها آل الطنطاوي في دمشق جاء في ختامها ما نصه: فرغ من كتابته العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن أبي طالب بن علي بن علي بن الحسين بن الخشاب الحلبي وذلك في المحرم سنة تسع وستمائة اهـ. قلت: وأغلب الظن أن كاتبها هو هذا الرجل الذي وصفه ابن ظافر بحسن الخط.

(٢) أي في نومه.

وإذا برجل شاب قد أقبل من الباب الغربي فقال له الشيخ : يا أبا العباس

أجز : إن ابن ظافرَ سوف يظ فر بالذي يرجوه عاجلْ

فقال : ظفرتْ عداه بخيبةٍ وغدا لما قد شاء نائل

فسررت بذلك فلم يكن شيء أسرع من عود الملك الأشرف أبقاه الله من دمشق وانفصالي من خدمته على الوجه الجميل ، وكان ذلك والله أعظم ظفر ، وأرفق قدر ، ولو لم يكن فيه إلا الرجوع إلى الباب الذي منه درجت ، وفي خدمته تخرجت ، والوطن الذي هو أول أرض مس ثراها جلدي ، وعلقت فيه تمائمي [لكفى] فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الأمل بمنه وطوله .

مؤلفاته

له تصانيف منها :

١ — أخبار الشجعان (ذكر في فوات الوفيات ومعجم الأدباء وبروكلمان وقال : هو في المتحف البريطاني رقم ٥٥٠ وليبزيغ ١٩١١) .

٢ — أخبار الملوك السلجوقية (ذكر في الفوات والمعجم) .

٣ — أساس السياسة (ذكر في الفوات والمعجم وكشف الظنون وبروكلمان وسماه أساس البلاغة) .

٤ — بدائع البدائه (طبع في بولاق سنة ١٢٧٨) .

٥ — التشبيهات (ذكر في الفوات والمعجم وكشف الظنون)[١]

(١) انظر رقم ٨ والتعليق عليه .

٦ — الدول المنقطعة (ذكر في الفوات وقال: وهو كتاب مفيد جداً في بابه، وذكر في المعجم وكشف الظنون وبروكلمان وقال: هو في أربعة أجزاء في غوطا رقم ١٥٥٥ والمتحف البريطاني ٤٦١).

٧ — ذيل بدائع البدائه (ذكر في الفوات والكشف).

٨ — [ذيل] (١) المناقب النورية (ذكره بروكلمان وقال: ألفه عام ٥٨٧، وهو في أسكوريال رقم ٤٢٥).

٩ — شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل (ذكر في كشف الظنون باسم شفاء العليل ولم يسم المؤلف كما ذكر الشهاب الثاقب بقوله مختصر شفاء العليل، ولم يسم المختصر (٢)، وقال المقري في نفح الطيب

---

(١) هكذا سماه زيدان، ولم يذكر بروكلمان كلمة (ذيل). وكنت رجوت من صديقي الأستاذ شكري فيصل أن يبحث لي عن هذا الكتاب في الأسكوريال عند رحلته إليها في رمضان سنة ١٣٦٦، فعهد بذلك إلى صديقنا الأستاذ عبدالعزيز الأهواني، فأجابه بكتاب هذه خلاصته: لم أهتدِ في فهرس الأسكوريال إلى ذيل لسيرة نور الدين بل وجدت كتاب المناقب النورية رقم ٤٢٥ من قسم الأدب مؤلفه ابن ظافر الأزدي الكاتب الصقلي الأصل المعروف، ولكنه ليس كتاباً في التاريخ وإنما هو كتاب جمع فيه المؤلف التشبيهات التي يستعملها الشعراء في وصف الأشياء، وقسمه على ستة أبواب: الأول في تشبيه الأجرام العلوية، وهو ٨٤ ورقة، وقد أهدى المؤلف كتابه إلى صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس ... ثم قال: وإني كتبت لك بيان كتاب المناقب النورية لأنني أخشى أن يكون جورجي زيدان قد خدع بعنوان الكتاب وحسبه في تاريخ نور الدين اهـ. قلت: يظهر من هذا أنه كتاب التشبيهات المشار إليه برقم ٥.

(٢) كذا في النسخ المطبوعة قديماً من كشف الظنون، ثم اطلعنا على نسخة =

بولاق ١ : ٤٠ وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل ، وهو غير محمول على الإطلاق ، وإن قال به بعض من رهنه من أبناء عصره ذو إغلاق) .

١٠ — مكرمات الكتاب (ذكر في معجم الأدباء) .

١١ — من أصيب ممن اسمه علي (ذكر في الفوات والمعجم وقال: وابتدأ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

١٢ — نفائس الذخيرة (ذكر في كشف الظنون والفوات وقال : ولم يكمل ولو كمل ما كان في الأدب مثله) .

ما قيل فيه وفي شعره

قال الصلاح الكتبي : كان متوقد الخاطر ، طلق العبارة ، ومع تعلقه بالدنيا كان له ميلٌ كبير إلى أهل الآخرة محباً لأهل الدين والصلاح .

وقال ياقوت : وكان نعم الرجل . ووصف الزركلي شعره بالرقة .

وقال فيه وفي شعره القاضي الأعز أبو الحسن علي بن المؤيد الغساني وكان قد بعث إليه بقصيدة من شعره فأجابه بأبيات منها :

= مخطوطة في دار الكتب الظاهرية رقمها العام ٣٢٧٨ وإذا فيها قوله: وقد اختصره جلال الدين السيوطي في ثلاث كراريس سماه الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب وكذلك هو في طبعة الجمهورية التركية كما رأينا في الورقة الثامنة من المجموع ذي الرقم العام ٥٢٦٨ وذكر مؤلفات السيوطي فقال : ومنها مختصر شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل يسمى الشهاب الثاقب .

قد أتتني من (الجمال) قصيدٌ يا لها من قصيدةٍ غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ مسك في سبكها وصفوَ الماء
فأرتنا طباعه وشذاه والذي حاز ذهنه من ذكاء
سيدي هل جمعت فيها اللآلي يا أخا المجد أم نجوم السماء(١)

شعره ونثره

في كتابه « بدائع البدائه » نماذج كثيرة من شعره المرتجل وسيمر بك في هذه الرسالة نماذج أخرى منه وكلها من الشعر الوسط أو دون الوسط ، أما نثره فهو على طريقة النثر المسجوع التي اختارها وجرى عليها جميع معاصريه كالقاضي الفاضل والعماد الأصبهاني وغيرهما ، وإليك عطفاً منه نختتم به هذه الترجمة وهو فاتحة كتابه بدائع البدائه فانها نعمت الفاتحة والخاتمة :

« اللهم أسبل علينا سترك الجميل ، وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل ، وامنحنا رضاك الذي هو غاية التأميل ، واكفنا سخطك الذي هو النهاية في التنكيل ، واحرسنا بعينك ، وأيدنا بعونك ، واكنُفْنا بعزك ، وصُنّا بحرزك ، ووفقنا لذكرك ، وأعنّا على حمدك وشكرك ، فانه لا توفيق إلا منك ، ولا عون إلا بك ، ولا صيانة إلا من عندك ، ولا حراسة إلا لمن شملته عنايتك ، ولا سعادة إلا لمن وسعته رحمتك .

دمشق : غرة المحرم سنة ١٣٦٨ أحمد عبيد

(١) بدائع البدائه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله حمدَ من أناب إلى ربه ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه .

وبعد فهذا كتاب اختصرت فيه الكتاب المدعوّ بشفاء الغليل ، في ذم الصاحب والخليل . تأليف ابن ظافر رحمه الله تعالى ، مع زيادات مهمة ، محتاج إلى ذكرها ، وسميته بالشهاب الثاقب ، في ذم الخليل والصاحب . ورتبته كترتيبه على ثمانية أبواب ، والله أسأل السلامةَ في المبدإ والمعاد .

الباب الأول

في فضل العزلة

وقد صنف أبو سليمان الخطَّابي (١) في ذلك كتاباً .

روى القشيري (٢) في الرسالة بسنده عن أبي هريرة (٣) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من خير معايش الناس [كلهم] (٤) رجلاً آخذاً بعِنان فرسه [في سبيل الله إن سمع فزعةً أو هيعةً كان على متن فرسه] (٤) يبتغي الموت أو القتل [في مظانّه] (٤) ، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف

(١) هو حمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، ولد سنة ٣١٧ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، له مؤلفات منها : (الاعتصام بالعزلة) طبع في مصر سنة ١٣٥٦ بعنوان (العزلة) .

(٢) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن من بني قشير شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين . ولد سنة ٣٧٦ ، وكانت إقامته في نيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥ ، أشهر كتبه الرسالة (المعروفة بالقشيرية) وطبعت في مصر مراراً .

(٣) اختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن بن صخر الدوسي وقيل غير ذلك ، أسلم سنة سبع ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر من الرواية عنه وولي إمرة المدينة مدة واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين ، ثم أقام في المدينة حتى توفي فيها سنة ٥٩ .

(٤) زيادة من الرسالة القشيرية ص ٥٠

أو بطن وادٍ من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربّه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير [١] .

وروى الخطّابي في كتابه عن أبي سعيد الخُدْري [٢] رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل : يارسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمنٌ مجاهدٌ بنفسه وماله في سبيل الله . قال : ثم مَنْ ؟ قال [ثم] رجلٌ معتزلٌ في شعبٍ من الشّعاب يعبد ربّه ويدعُ الناس من شره [٣] .

وقال علي [٤] رضي الله تعالى عنه : ثلاث منجياتٌ : تُكِنّ لسانك ، وتبكي على خطيئتك ، ويسعُك بيتك .

وقال : لولا مخافة الوسواس ، لجلستُ في أرضٍ ليس فيها الناس .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٦ ص ٣٩ - ٤٠ وابن ماجه ٢ : ٤٧٥ من طرق عن عبد العزيز بن ابي حازم باسناده المذكور في الرسالة دون حرف إن وزاد بعد قوله : في سبيل الله . يطير على متنه . وقالا : لهم بدل كلهم (ن)

(٢) واسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري . كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم ، غزا اثنتي عشرة غزوة وتوفي في المدينة سنة ٧٤ .

(٣) العزلة ص ١٦ وشرح الأحياء ٦ : ٣٣٩ وقال : رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه . وانظر روضة العقلاء لابن حبان ص ٦٥ .

(٤) هو أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره . قتل غيلة في رمضان سنة أربعين .

ودخل الثوري[١] على جعفر الصادق[٢] فقال له : يا ابن رسول الله تعتزل الناس والناس محتاجون إليك ؟ قال : يا سفيان العزلةُ الدّعة. فسد الزمان ، وتغير الإخوان ، فرأيت الانفراد ، أسكن للفؤاد[٣] ، ثم أنشد :

لا تجزعنّ لوحدة وتفرد ومن التفرد في زمانك فازدد
ذهب الإخاء فليس ثَمَّ أخوةٌ إلا التملُّق باللسان وباليد
[فاذا كشفت ضميرَ ما بصدورهم أبصرت ثَمّ نقيع سمّ الأسود][٤]

وقال مكحول[٥] : إن كان الفضل في الجماعة ، فالسلامة في الوحدة[٦] .

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ في الكوفة ، وخرج منها سنة ١٤٤ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١ .

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، مولده ووفاته في المدينة (٨٠ – ١٤٨) .

(٣) في غرر الخصائص ٤٦٣ : وقال جعفر الصادق : العزلة أسكن للفؤاد ، وأبعد من الفساد ، وأعود للمعاد .

(٤) زيادة من غرر الخصائص طبع بولاق ٤٦١ ونسبها لأبي حامد الغزالي ، وهو وهم ، وأين عصر الغزالي من عصر الصادق وسفيان الثوري ؟

(٥) هو مكحول بن شهراب وقيل سهراب وقيل ابن عبد الله ، فقيه الشام في عصره ، أصله من فارس ومولده بمصر ، سكن دمشق وتوفي فيها سنة ١١٢ .

(٦) في روضة العقلاء ٦٨ قال مكحول : إن كان في مخالطة الناس خيرٌ فالعزلة أسلم . وفي القشيرية ٥١ : فان في العزلة السلامة .

وقال يحي بن معاذ [1] [في العزلة] ثلاث : سلامة من زلات المحاورة ، وآفات المكاثرة ، وغفلات المناظرة .

وقيل لإياس [2] : لمَ تعتزل الناس ؟ أما تموت جوعاً ؟ فقال : لأن أموت مؤمناً مهزولا خيرٌ من أن أموت منافقاً سميناً .

وقيل لطاوس [3] : ما أجلسك في بيتك ؟ قال : حيف الأئمة ، وفساد الرعية ، وذهاب السنة [4] .

وقال أبو الدرداء [5] : اعتزل الناس واحذرهم ، فانهم ما ركبوا ظهر [6] بعيرٍ إلا أدبروه ، ولا ظهر جوادٍ إلا عقروه [7] ، ولا قلب مؤمنٍ إلا خربوه .

---

(١) هو أبو زكريا يحي بن معاذ الرازي الواعظ قال القشيري في الرسالة ١٦ نسيج وحده في وقته ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨ ، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم نحو عشرين صفحة من كلام معاذ ليس فيها هذه الكلمة .

(٢) هو إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وفراسته (٤٦ — ١٢٢) .

(٣) هو طاوس بن كيسان الخولاني من أكابر التابعين ، أصله من الفرس ، ومولده ومنشؤه في اليمن ، وتوفي حاجاً بمكة سنة ١٦٠ .

(٤) انظر العزلة ٢١ وشرح الأحياء ٦ : ٣٥٦ .

(٥) واسمه عويمر بن زيد وقيل ابن عامر وقيل ابن مالك الأنصاري الخزرجي أسلم يوم بدر ، وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، مات سنة ٣٢ .

(٦) في غرر الخصائص ٤٦٤ ، والكشف والبيان مخطوط الورقة ١٢١ ، سنام بعير . (٧) في الأصل : عوروه .

قال من يساوم [١] :

وَحدةُ الإنسان خيرٌ من جليس السوءِ عندهْ

وجليسُ الصدقِ خيرٌ من جلوس المرء وحدهْ

وقيل : وحدةٌ خيرٌ من جليس ، ووحدة أمتع من أنيس .

وقيل : العزلة من الناس تقي العرض ، وتبقي الجلالة ، وتستر الفاقة ، [وترفع مؤنة المكافأة في الحقوق] [٢] .

وقال آخر : العزلة من العامة ، مروءة تامة . الانفراد بالخلوة ، أجمع لدواعي السلوة . من آثر العزلة ، حصل العزُّ له [٣] .

وقال آخر :

(١) كذا في الأصل ، وفي رسالة أبي حيان التوحيدي في الصداقة والصديق ص ١٦٦ وأنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه وذكر البيتين ، ونسبهما المقدسي في اللطائف والظرائف (٤٩) لأبي العتاهية وهما في ديوانه (٨٠) ، وفي روضة العقلاء (٨٢) بسنده إلى أبي الدرداء قال : لصاحبٌ صالحٌ خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء ، ومملي الخير خير من الساكت ، والساكت خير من مملي الشر . وقال في شرح الأحياء ٦ : ٣٥٣ وقد روي مرفوعاً من حديث لأبي ذر : الوحدة خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، وإملاء الخير خير من الصمت ، والصمت خير من إملاء الشر . قال : أخرجه الحاكم وأبو الشيخ والعسكري والبيهقي ورواه الديلمي من حديث أبي هريرة ، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الحاكم والبيهقي في شعب الايمان .

(٢) زيادة من غرر الخصائص ٤٦٢ .

(٣) في الأصل : حصل الزلة ، والتصويب من القشيرية ٥١

أهل الضلال فلا أجالسهم وقد أخشى أذى ضرر الكلام وضيره[١]

إني لأُعرض عنهمُ في لغوهم (حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)[٢]

وقال آخر: الوحدة مرآة العقل، وصيقل الفهم، وسراج الحكمة، ومغناطيس العلم، وجلاء البصيرة، ونور اللب، وشَعْبُ[٣] القلب، وجماع الفكر.

وقال آخر: العزلة من أمارات[٤] الوُصْلة.

وقال آخر: الانفراد، من شيم الأمجاد.

[وقال] أبو بكر الوراق[٥]: وجدت خير الدنيا والآخرة في العزلة[٦] والقلة، وشرهما في الاختلاط والكثرة.

وقال ذو النون المصري[٧]: لم أرَ شيئاً أبعثَ على الإخلاص

---

(١) في الأصل:

أهل الضلال فلا أجالسهم وقد أخشى إذاً ضرر الكلام وضيره

(٢) سورة النساء الآية ١٣٩، وسورة الأنعام الآية ٦٨.

(٣) في الأصل: وسمت القلب. والشعب الجمع والاصلاح.

(٤) في الأصل: من امراة. والتصويب من القشيرية ٥٠.

(٥) هو محمد بن عمر الوراق الترمذي، قال في الرسالة القشيرية ٢٢ أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه المتوفى سنة ٢٤٠ وغيره وله تصانيف في الرياضات.

(٦) في القشيرية ٥١ في الخلوة.

(٧) هو أبو الفياض ثوبان بن إبراهيم الأخميمي أحد الزهاد العباد المشهورين نوبي الأصل من الموالي، اتهمه المتوكل العباسي بالزندقة فاستحضره إليه وسمع كلامه ثم أطلقه فعاد إلى مصر وتوفي بجيزتها سنة ٢٤٥.

من الخلوة مع العزلة [1].

قال الجُنَيْد [2]: مكابدة العزلة، أيسرُ من مداراة الأخلاء [3].

وقال الشبلي [4]: علامة الإفلاس، الاستئناس بالناس.

وقال الجنيد: من أَراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل [من] اختار فيه الوحدة.

وقيل لبعضهم: أعندك شيء تستأنس به؟ فقال: نعم، مصحف، وأَنشد يقول: [5]

وكتبيَ حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاءٌ للذي أنا كاتمُ

وأنشد ابن ظافر:

ولاحٍ لحاني على وَحدتي وأطنبَ في لومه الجاهلُ
وقال أما يوحشَنْك المقامُ وحيداً وأنت الفتى العاقل

(١) انظر الرسالة القشيرية ٥١.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد. إمام الدنيا في زمانه وشيخ مذهب التصوف، توفي سنة ٢٩٧.

(٣) في القشيرية ٥١ الخلطة.

(٤) هو أبو بكر دلف بن جحدر. كان في مبدإ أمره والياً في دنباوند (من نواحي الري) ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح أصله من خراسان ومولده ووفاته ببغداد (٢٤٧ — ٣٣٤).

(٥) في القشيرية ٥١ وفي معناه أنشدوا: « وكتبك حولي » البيت.

وقد قيل من لازم الإنفرا د مات ولا عنده طائل
فقلتُ له : تهتَ عما أَردتُ وفاتك قصدي يَا عاذل
وفي كُتُبٍ لي نعم الأَنيسُ ونعم المحدّثُ والقائل
تَجِدُّ إذا شئت جِدّ الحديث وتَهزل إن فاتك الهازل

وعوتب بعضهم [1] لما اعتزل الناس فقال : صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا [لي] ذنباً ، ولا ستروا لي عيباً ، ولا حفظوا لي غيباً ، ولا أقالوا لي عثرة ، ولا رحموا لي عبرة ، [ولا قبلوا مني معذرة ، ولا فكّوني من أسرة ، ولا جبروا مني كسرة] ، ولا

(١) قال أبو حيان التوحيدي في رسالته في الصداقة والصديق ص ٦ : قال جميل بن مرة في الزمان الأول حين كان الذين عرفوا بالاخلاص والمروءة تتهادى بين الناس وقد لزم قعر البيت ورفض المجالس واعتزل الخاصة والعامة وعوتب في ذلك فقال الخ . وذكر الحافظ ابن حبان في روضة العقلاء ٦٧ بسنده أن إبراهيم ابن شماس قال : قال لي الأكّاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو : يا إبراهيم صحبت الناس خمسين سنة فلم أجد أحداً ستر لي عورة ، ولا وصلني إذا قطعته ، ولا أمنته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير . ومثله في العزلة ٦٥ . وفي رسالة أبي حيان ١٥٦ قال سفيان بن عُيينة : صحبت الناس خمسين سنة ما ستر لي أحدٌ عورة ، ولا ردّ عني غيبة ، ولا عفا لي عن مظلمة ، ولا قطعته فوصلني ، وأخصُّ إخواني لو خالفته في رمانة فقلت هي حامضة وقال هي حلوة لسعى بي حتى يشيط بدمي (أي حتى يعرضه للقتل ويهدر دمه) وانظر العزلة ٨١ . وفي غرر الخصائص ص ٤٦١ والكشف والبيان مخطوط الورقة ١٣١ قال وهيب بن الورد : صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي زلة ، ولا أزاح لي علة ، ولا ستر لي عورة .

بذلوا لي نصرة ، ورأيت الشغل بهم تضييعاً للحياة ، وتباعداً من الله تعالى ، وتجرعاً للغيظ [مع الساعات] ، وتسليطاً للهوى [في الهنات بعد الهنات] [١] .

وقيل لِمسْوَر بن مَخْرَمة [٢] : أيُّ الندماء أحبُّ إليك ؟ قال : لم أجد نديماً كالحائط : إن بصقت في وجهه لم يغضب عليَّ ، وإن أسررت إليه بشيء كتمه علي [٣] .

وقال بعضهم [٤] : انفرد ولا تكثر من الإخوان فانه لا يؤذيك إلا من تعرفه ، وأنشد يقول :

جزى الله خيراً كل من ليس بيننا ولا بينه ودٌّ ولا مُتعرَّف [٥]

---

(١) الزيادات من رسالة الصداقة والصديق .

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ابن أخت عبد الرحمن بن عوف أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح إفريقية ثم كان مع عبد الله بن الزبير ، فأصابه في الحصار بمكة حجر من حجارة المنجنيق فقتله (٢ — ٦٤) .

(٣) انظر رسالة الصداقة والصديق ١٧ . وشرح الأحياء ٦ : ٣٥٧ ، وفي المخلاة ٨٨ وقيل للعتابي من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصق في وجهه ولا يغضب ، قيل له : من هذا ؟ قال : الحائط .

(٤) انظر رسالة أبي حيان ص ١٧ و ١٨ والغيث المسجم ٢ : ٢٨٠ وفي عيون الأخبار ٣ : ٧٤ وكتب رجل على باب داره : جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً ، فأما أصدقاؤنا فلا جزوا ذلك ، فانا لم نؤت قط إلا منهم .

(٥) في الأصل :

جزا الله عنا خيراً كل من ليس بيننا وبينه ودًّا ولا تعارُف

فلا سامنا ضيماً[١] ولا شفَّنا أذى من الناس إلا من نودُّ ونألف[٢]

ومثله :

ومازلت مذْ لاحت بفودي لمّتي أُبيّن عن هذا الورى وأُكشّف[٣]

فما إن عرَفت الناس إلا ذممتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرف

وقيل لعروة بن الزبير[٤] لما اتخذ داره في العقيق[٥] : لِمَ تركت الناس ؟ فقال : لأن ألسنتهم لاغية ، وأسماعهم صاغية ، وقلوبهم لاهية ، وأديانهم واهية ، والفاحشة بينهم فاشية ، نخفت عليهم الداهية ، فتنحيت عنهم ناحية ، وصرت منهم في عافية[٦] .

---

(١) في الأصل : ضيم .

(٢) في الأصل : ونعرف . والمذكور هنا من رواية أبي حيان ، وانظر ٣٠٦ من شرح أدب الدنيا والدين .

(٣) في الأصل :

وما زلت منذ لاحت بفودي لمتي أبيت عن هذا العُرى وأكشف

والتصحيح من عندي ، ثم وجدتُ البيت في تكميل النعوت للنابلسي ص ٣٠ ، والكشف والبيان الورقة ٣١٦ هكذا :

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي أفتش عن هذا الورى وأكشف

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، أحد الفقهاء السبعة كان عالماً صالحاً كريماً لم يدخل في شيء من الفتن ، توفي في المدينة سنة ٩٣ أو نحوها .

(٥) العقيق : على ثلاثة أميال من المدينة .

(٦) انظر العزلة ٢٢ وغرر الخصائص ٤٦٢ ورسالة أبي حيان ٤٢ وشرح الأحياء ٦ : ٣٥٦ .

وقال بعضهم :

طبْ عن الأمة نفسا   وارضَ بالوَحدة أُنسا

[واغرس اليأس بأرض الـ   ـزهدِ ما عُمِّرت غرسا]

[وليكن يأسك دون الـ   طمعِ الكاذب تُرسا]

[لستَ بالواجد حرًّا   أو تردَّ اليوم أمسا] (١)

لم أجد لي صاحباً يَسـ   ـوى على الخبرة فلسا

وقال آخر :

لستُ إلى الإنسان مستأنساً   لكنني آنس (٢) باليأس

وربما استوحشتُ من كثرة   وكان في الوَحدة إيناسي

وقال أبو الحسن الجرجاني (٣) :

ما تطعّمت لذة العيش حتى   صرت في وحدتي لكتبي جليسا

---

(١) الزيادة من روضة العقلاء ١٢٢ ، ومن رسالة أبي حيان ٥١ ورواية هذه الأبيات مختلفة فيها وفي روضة العقلاء . وقال في محاضرات الأدباء ٢ : ١٢ وغرر الخصائص ٤٦٠ والكشف والبيان الورقة ١٣١ : وكتب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى أخيه من مدينة السلام ، وكان أخوه بخراسان يشكو إليه قلة وفاء الرئيس وتأذيه بحضرة الجليس فكتب إليه جوابا : « طب عن الأمة نفسا » الخ .

(٢) في الأصل : أونس .

(٣) هو علي بن عبد العزيز بن الحسن ، قاض من العلماء بالأدب ، كثير الرحلات له شعر حسن ، ولد بجرجان وولي قضاءها ثم قضاء الري ، وتوفي بنيسابور وحمل تابوته إلى جرجان (٢٩٠ - ٣٦٦) .

ليس عندي شيء يعادل نفسي [لا][1] فلا أبتغي سواها أنيسا
إنما الذل في مداخلة النا س فدعها وعش كريماً رئيسا

وقال أبو سليمان الخطابي[2]:

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني خواطرٌ كطراز البرق في الظُلَم
وإن توالى صياح الناعقين على أذني عرتني منه حكْلَمَة العجم[3]

غيره:

إذا غش امرؤٌ[4] زيداً وعمراً فنصحي للعدا والأولياء
وإن راءى[5] فلانٌ أو فلانٌ فما في طبع مثلي أن يرائي
ولما عاد نبل المرء حمقاً وعاد الخبث في باب الزكاء
وكل رذيلة فإلى أمامٍ وكل فضيلة فإلى وراء
قنعت بكسرتي ولزمت بيتي وعشت أشدَّ عيشٍ في رخاء

---

(١) زيادة اقتضاها الوزن وفي غرر الخصائص ٤٦٣ روى البيت هكذا:
ليس شيء ألذّ عندي من نف سي فلم أبتغي سواها أنيسا
ولهذه الأبيات روايات أخرى ذكرت في معجم الأدباء ١٤ : ١٩ واللطائف والظرائف ٤٩ ووفيات الأعيان ١ : ٤٠٩

(٢) انظر حاشية الصفحة الـ ١٨ رقم ١

(٣) كذا في يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٣ واللطائف والظرائف ٤٩ وهي المعجمة في الكلام، وفي معجم الأدباء ١٠ : ٢٧٠ «لكنة العجم»، وفي الأصل: خصلة وهي تصحيف.

(٤) في الأصل: إذا غشي أمر.

(٥) في الأصل: وإن أرى.

غيره :

أيا نفس إنْ تطلبي عافيهْ فلا بدَّ أن تلزمي زاويهْ
فأكثر أبناء هذا الزمان ذئابٌ إذا فُتّشوا عاديه[1]
أكفٌّ عن الخير مقبوضةٌ وألسنةٌ بالخنا جاريه
فطوبى لمستحلسٍ[2] بيته قنوعٍ له[3] بلغةٌ كافيه
نداماه دون الورى كتبُه فلا إثمَ فيها ولا لاغيه
فمن شره الناس في نجوةٍ ومن شرهم نفسُه ناجيه

وقال الجرجاني[4] :

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهمُ هانَ عندهم ومن أكرمته عزة النفس أُكرما
وما زلتُ منحازاً بعرضيَ جانباً من الذم أعتدُّ الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى ولكنَّ نفس الحرّ تحتمل الظما
[أُنهنها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدى فيمَ أو لما][5]
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنت كلما بدا مطمعٌ صيَّرته لِيَ سلما
[وما كل برقٍ لاحَ لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه منعما][5]

---

(١) كذا في الأصل ولعل الأصوب عاوية .
(٢) في الأصل : لمستجلس . والمستحلس : الملازم الذي لا يبرح مكانه .
(٣) في الأصل : في بلغة .
(٤) انظر حاشية ص ٢٨ رقم ٣
(٥) زيادة من أدب الدنيا والدين ٤١ ، وانظر معجم الأدباء ١٤ : ١٧ .

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما

أأشقى (١) به غرساً وأجنيه ذلةً
إذاً فاتباع الجهل قد كان أسلما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعُظّما

ولكن أذلوه فهان ودنَّسوا
مُحيّاه بالأطماع حتى تجهما

وقال أبو القاسم الوزير (٢) :

أنستُ بوحدتي حتى لوَ اُنّي
رأيتُ الأُنس لاستوحشتُ منه

ولم تدعِ التجاربُ لي صديقاً
أميلُ إليه إلا مِلتُ عنه

[وما ظفرت يدي بصديقِ صدقٍ
أخاف عليه إلا خفتُ منه] (٣)

ولابن ظافر :

قلت لمن لام في انفرادي
عن الأخلاء والأعادي

عَدّ عن اللوم يا عذولي
واعذُر فإني على السَّداد

أفنيتُ نفسي وجُلَّ عمري
وطارفَ المال مع تلادي (٤)

---

(١) في الأصل : « أأقنع » وهو خطأ .

(٢) هو الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالوزير المغربي من الدهاة العلماء الأدباء يقال إنه من الأكاسرة ، مولده بمصر سنة ٣٧٠ وتوفي بميافارقين (بديار بكر) سنة ٤١٨ .

(٣) زيادة من غرر الخصائص ٤٦٣ ولم يسم القائل ، وذكر في تكميل النعوت ص ٣٨ البيتين الأولين ونسبهما إلى عبد المحسن الصوري .

(٤) في الأصل: والتلادي . وفي هذه القصيدة ، على ركتها ، مخالفة لبعض القواعد النحوية وتحريف كثير ، أعملت الفكر في إصلاح بعضه حتى استقام على طريقته .

وطُفت جلَّ البلاد أبغي أخاً سليمَ الوداد هادي [1]
فلم أصادف سوى لئيمٍ وغدٍ بعيدٍ من الرشاد
يبشُّ لي إن رأى رُوائي ويضمر البغض في الفؤاد [2]
ويُحسِن القولَ في اقترابي ويأتِ [3] بالغش في ابتعادي
يحزن للخير إن رعاني ويفرح القلب للفساد
لحاسدي كالحرير ليناً ولي كشوكٍ من القتاد [4]
عينٌ ولكن على فؤادي أذنٌ ولكن لمن أعادي
يودّني إن غنيت [5] يوماً ويَقْلِني [6] إن نقصت زادي
إن رُمت إصلاحه تمادى ومرّ في الغي كالجواد
فلم أجدْ لي سوى انفراد يعصمني من أذى العباد

وله :

العزُّ في العزلة مكنونُ والذلُّ في البذلة مدفونُ

---

(١) كذا في الأصل ، والصواب هادياً .

(٢) في الأصل :

يبش لي إن رأى وراي ويظهر الغش في الفؤادي

(٣) كذا في الأصل ، والصواب يأتي .

(٤) في الأصل :

لحسادي كالحرير ليناً وهو لي لبذلَ كالقتاد

(٥) في الأصل : إن غبت .

(٦) كذا في الأصل . والصواب : ويقلاني أو يقليني .

فإنْ تُردْ عزّاً فكن أعزلاً ... أو لا فأنت الرجلُ الهون

ابن المعتز (١)

وأفردني من الإخوان علمي ... بهم فبقيتُ مهجورَ النواحي

إذا ما قلَّ رِفدي قلَّ مدحي ... وإن أثريتُ عادوا في امتداحي

فكم ذمٍّ لهم في جنب مدحٍ ... وجِدٍّ بين أثناء المزاح (٢)

غيره :

شرُّ السباع الضواري دونه وَزَرٌ ... والناس شرهم ما دونه وزرُ

كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سَبُعٌ ... وما نرى بشراً لم يؤذه بشر (٣)

ابن ظافر :

لم يبق في الناس من يُرجى لمكرمةٍ ... كلا ولا من له ظلٌّ ولا أُزُرُ

قد استوى الخلقُ حتى ما ترى أحداً ... إلا وفيه على إخوانه ضرر

(١) هو عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي الشاعر المبدع ولد في بغداد سنة ٢٤٧ وأولع بالادب وصنف كتباً . بويع بالخلافة بعد خلع المقتدر فأقام يوماً وليلة وعاد المقتدر فقبض عليه وسلمه إلى خادمه مؤنس فخنقه في سنة ٢٩٦ .

(٢) في العزلة ٦٧ وغرر الخصائص ٤٦٢ البيتان الاول والثالث فقط والابيات من قصيدة ذكرت في ديوانه ٢٨

(٣) في الاصل بعض التحريف وكذا في غرر الخصائص ٤٧٣ والتصويب من العزلة ٦٠ وهما منسوبان فيها إلى بعض أهل زمان المؤلف الخطابي وفي ترجمة الخطابي في معجم الادباء ١٠ : ٢٧١ أنهما من نظمه هو . ونسبهما إليه أيضاً جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب ١٠٤

فجانب الناسَ واحذرهم وكن رجلاً | لم يُرضه (١) منهمُ أنثى ولا ذكر
ولا يغرَّنْك أثوابٌ وأشْبِرةٌ (٢) | فكل من قد تراه يا أخي بقر (٣)
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا | شرًّا أذاعوا وإن لم يسمعوا ابتكروا (٤)
فابعد وكن مفرداً في رأس شاهقة | لا مؤنساً لك إلا الهمُّ والفِكر

ظافر الحداد (٥) :

أوصيك بالبعد عن الناسِ | فالعزُّ في الوَحدة واليأس
فوحدةُ الصمصام في غمده | حَصَّنه (٦) بالعزّ والباس

---

(١) في الاصل : لا يرضه .

(٢) لعله جمع شِيار أو شَوار وهو الحسن والجمال والهيئة واللباس والزينة وفي الاصل : وأشبِرة .

(٣) في الأصل : « فكل من ترى منهم يا أخي بقر » .

(٤) ليس لابن ظافر من هذا البيت الا كلمة القافية فقد ورد في غرر الخصائص : ٤٦٥ على قافية الباء : « وإن لم يسمعوا كذبوا » . وكذلك هو في رسالة أبي حيان في الصداقة والصديق ص ٤٨ وروضة العقلاء ١٥٥ ولكن بابدال السماع بالعلم :

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا | شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وانظر روضة العقلاء ١٥٠ ورسالة أبي حيان ١١٥

مابال قومٍ صديق ثم ليس لهم | عهدٌ وليس لهم دينٌ إذا ائتمنوا
إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً | مني وما سمعوا من صالحٍ دفنوا الخ .

(٥) هو أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي شاعر من أهل الاسكندرية توفي سنة ٥٢٩ .

(٦) في الاصل : حسنه .

ولبعضهم :

من حمد الناس ولم يَبْلُهم　　ثم بلاهم ذمَّ من يَحمدُ
وصار في الوحدة مستأنساً　　يوحشه الأقرب والأبعد[1]

وقال :

قد تركتُ الجوابَ من غير عيٍّ　　ولزمت الفراش من غير علَّهْ
وهجرت الإخوانَ لما بدت لي　　منهمُ كل خصلة مُصْمئلَّه[2]
فعلى الناس والزمانِ جميعاً　　ضعفُ قطر السماء من لعنة الله[3]

وقال :

يا أيها الإنسان كن واحداً　　فرداً ولا تأنس بإنسان
فكل من تلقاه من ذي الورى　　له لسانان ووجهان

ولبعضهم :

وما تاركي فرداً بغير مصاحبٍ　　من الناس إلا فطنتي وتجاربي

---

(١) البيتان في غرر الخصائص ٤٥٩

(٢) في الاصل : مضمئلة والمصمئلة الداهية .

(٣) ما أقبح هذا القول وما أشدّ فظاعته فإن اللعن وحده من كبائر الاثم فكيف إذا أطلقه قائله فعم به الناس والزمان جميعاً ؟ لاجرم ان هذا لايخرج من قلبٍ وقرت فيه خشية الله . روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ولعنُ المؤمنِ كقتله ،ورويا أيضاً أنه قال : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر . وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لايرمي رجلٌ رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك .

وذلك أني إن أردت من الورى أخا ثقة عزّت عليَّ مطالبي

قلت أنا [١] : وقد أكثر ابن ظافر من الأبيات التي أتى بها في هذا المعنى ، وقد أثبتُ هنا محاسن ما ذكره ، وحذفت منها ما ليس نصاً في المقصود . أو كان ركيك النظم ، أو نحو ذلك . وذكرت هنا قول الإمام القاضي تاج الدين السبكي الشافعي [٢] .

إن اعتزال بني الأنام لسُنّةٌ لا ترفضنْها واجتهد في خبرتكْ
كلُّ الورى شرٌّ وأنت لهم كما تُضطرُّ فاصحبهم بقدر ضرورتك

---

(١) أي السيوطي مختصر هذا الكتاب .

(٢) هو أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي المؤرخ الباحث . ولد في القاهرة سنة ٧٢٧ وقدم دمشق مع والده فسكنها إلى أن توفي بالطاعون سنة ٧٧١



في أن الصديق غير موجود

قال الكندي [1] : الصديق اسم على غير جسم .

وقال الفضل بن العباس [2] : دلوني على رجلٍ أسكن إليه في الرخاء والشدة ، قيل له : تلك ضالةٌ لا توجد .

وقال الاسكندر [3] : طفت الدنيا وما أعجزني شيءٌ إلا وجدان صديق صدوق .

(١) هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي . فيلسوف العرب في عصره وأحد أبناء الملوك من كندة نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح مازيد على ثلاثمائة كتاب . توفي سنة ٢٦٠ .

(٢) هو أسن ولد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من شجعان الصحابة ووجوههم ثبت يوم حنين وخرج مجاهداً إلى الشام فمات في طاعون عمواس سنة ١٨ وفي عيون الاخبار ١ : ٣٣٤ كان يقال : من أراد العلم والسخاء والجمال فليأتِ دار العباس : كان عبد الله أعلم الناس ، وعبيد الله أسخى الناس ، والفضل أجمل الناس .

(٣) هو الاسكندر بن فيلبس المكدوني ولد سنة ٣٥٦ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٣ وعمره ٣٣ سنة ويلقبه الفرنج بالكبير والعرب بذي القرنين قيل لأنه ملك قرني الشمس وهما المشرق والمغرب أو الضفيرتين كانتا في قرني رأسه (دائرة المعارف للبستاني ٣ : ٥٤٥ ودائرة المعارف لوجدي ١ : ٣١١) .

وقال بعضهم : من ظنّ أنه وجد صديقاً صدوقاً فاقطع بأنه مجنون .

وقال آخر : من قال إنه رأى صديقاً صادقاً فاحتم على أنه كذاب .

وقال بعضهم :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقد تحدّث قومٌ باجتماعهما وما أظنهما كانا ولا اجتمعا

قلت أنا : ومثل هذا قول الشيخ الإمام عز الدين الديريني [١] قال رحمه الله تعالى :

وعن صحبة الاخوان والكيمياء خذ يميناً فما من كيمياءٍ ولا خلّ

[ولم أرَ خِلاًّ قد تفرّد ساعة مع الله خالي البال والسر من شغلِ] [٢]

وقيل لبعضهم : ما معنى الصديق ؟ فقال : لفظٌ بلا معنى .

وقيل لأعرابي : كيف أنسك بالصديق ؟ فقال : وأين الصديق ؟ [بل أين الشبيه به] [٣] ؟ بل أين الشبيه بالشبيه بالصديق ؟ والله ما يوقد نار الضغائن [والدخول في الحيّ] [٣] إلا الذين يدّعون الصداقة ويعانون [٤] النصيحة ، [وهم أعداء في مُسوك الأصدقاء] [٣] .

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني الفقيه الشافعي العالم الاديب الصوفي اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٦٩٩ وقيل غير ذلك . (شذرات الذهب لابن العماد) .

(٢) زيادة من شذرات الذهب ٥ : ٤٥٠

(٣) زيادة من رسالة أبي حيان ٣٩

(٤) في الاصل : ويتعاونون : وفي رسالة أبي حيان : وينتحلون .

وقيل لأبي النصر : لِمَ لا تتخذ الأصدقاء ؟ قال : حتى أتفرغ من الأعداء ، وأطلب صديقاً من الجن ، فإنه قد أعوزني في الإنس

لبعضهم :

وأخٍ(١) رخصتُ عليه حتى ملَّني ... والشيءُ مملولٌ متى [ما] يرخص

ما في زمانك من يعزُّ وجوده ... إن رُمته إلا صديقٌ مخلص(٢)

أبو الفتح البستي(٣) :

[لا تغبننَّ ولا تخدعك بارقةٌ ... من ذي خداعٍ يُري بشراً وألطافا](٤)

فلو قلبتَ جميع الأرض قاطبةً ... وسرتَ في الأرض أوساطاً وأطرافا

لم تلقَ(٥) فيها صديقاً صادقاً أبداً ... ولا أخاً يبذل الإنصاف إن صافى(٦)

---

(١) في الاصل : وأخاً .

(٢) في الذخائر والاعلاق ١٦١ ذكر هذا البيت مفرداً وعزاه لأبي بكر الخالدي

(٣) هو علي بن محمد بن الحسين شاعر عصره وكاتبه ولد في بست قرب سجستان وإليها نسبته وولي كتابة ديوانها ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤٠٠

(٤) زيادة من يتيمة الدهر وليس هو في ديوانه .

(٥) في الديوان واليتيمة : لم تلفِ .

(٦) في الاصل : إلا أخ يبدل الاصناف أصنافاً . ولعل الصواب ما أثبتناه ، بل هو الصواب كما رأيناه بعدُ في يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٣ وديوان البستي ٥٠

للقيراطي (١) :

قالوا وقد بكروا بعذلي إذ رأوا (٢) أني بقيتُ بلا صديقٍ فاردا
هلاّ اقتنيت صداقةً من صاحبٍ يغدو على نُوَب الزمان مساعدا
فأجبتهم والحقّ ينصر نفسه والصدق لا أبغي عليه شاهدا
إنّ الصديق هو اسم معنىً لم أجد من واجديه في البرية واحدا

لبعضهم :

سمعنا بالصديق ولا نراهُ على الأيام (٣) يوجد في الأنام
وأحسبه محالاً أوردوه (٤) على وجه المجاز من الكلام

لبعضهم :

أما الوفاء فشيءٌ قد سمعت به فما وجدت له رسماً (٥) ولا أثرا
فلا أطالب مخلوقاً به أبداً ولا ألوم على غدرٍ أخاً غدرا (٦)

---

(١) هو برهان الدين ابراهيم بن عبدالله بن محمد الطائي شاعر من أهل القاهرة مات بمكة سنة ٧٨١ (وفي شذرات الذهب ٦ : ٢٦٩ انه ولد سنة ٧٢٦) .

(٢) في الأصل : « قالوا وقد ذكروا بعد عذر إذ رأوا » الخ .

(٣) في غرر الخصائص ٤٦٠ وشرح ادب الدنيا والدين ٣٠٨ والكشف والبيان الورقه ١٣١ : على التحقيق .

(٤) في شرح أدب الدنيا والدين والكشف والبيان وغرر الخصائص : نمقوه والبيتان معزوان في الغرر والكشف إلى الناشئ .

(٥) في غرر الخصائص ٤٦٢ وأساس الاقتباس ١٣١ : عيناً ولا أثراً .

(٦) في الأصل : « على عذرٍ أخاً عذرا » ولم أجد هذا البيت في غير الأصل .

ومن توهم في الدنيا أخا ثقة فإنه بشرٌ لا يعرف البشرا

عبد المحسن الحلبي [١] :

تسلَّ فما في العالمين خليلُ يراعيك يوماً إن عراك خمول

مضى كلُّ خلٍّ صادقٍ في إخائه ولم يبق إلا كاذبٌ وملول

إذا أقبلت دنياك أقبل مثلها وإن مالت الدنيا عليك يميل

XX

مفرد :

وإذا قيل ما أعزُّ وجوداً [٢] في البرايا فقل صديقٌ أمين

---

(١) هو أمين الدين عبد المحسن بن حمود التنوخي الحلبي ، أديب من الشعراء ، كان كاتباً ووزيراً لعزالدين أيبك صاحب صرخد (٥٧٠ — ٦٤٣) .

(٢) في الاصل : ما أعز وجوده .



في وجوب الاحتراس من الناس

قال صلى الله عليه وسلم : احترسوا من الناس بسوء الظن (١)

وقال علي رضي الله عنه : الحزم سوء الظن (٢) .

لبعضهم :

ليكن ظنك ظناً سيئاً إن سوء الظن من أوفى الفطن
مارمى الإنسان في مهلكةٍ سببٌ أقوى من الظن الحسن

لبعضهم :

أخيَّ لاتفشِ دواعي الهوى وعارضِ الأطماعَ باليأسِ
وظُنْ شرًّا بجميع الورى فالحزم سوء الظن بالناسِ

(١) قال السيوطي رواه الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل . ونقل العزيزي عن شيخه الواعظ أنه حديث ضعيف وقال الحفني في حاشيته على الجامع الصغير ولا ينافيه حديث (اياكم وسوء الظن) لأنه محمول على من لم نعلم عليهم الجراءة على المعاصي ولم يطعن فيهم بها وما هنا فيمن فيه ذلك . . وفي هذا قال بعضهم :

اجعل يقينك سوء الظن تنجُ به من عاش منتبهاً قلت مصائبه
والقَ العدو بثغرٍ ضاحكٍ بسمٍ وانصب له في الحشا جيشاً يحاربه

(انظر السراج المنير شرح الجامع الصغير وحاشيته) .

(٢) وروي أيضاً مرفوعاً باسناد حسن (الجامع الصغير) .

ابن الرومي (١) :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنّ من الصحاب
فإن الداءَ أكثر ماتراه يكون من الطعام أو الشراب
[إذا انقلب الصديق غدا عدوّاً مبيناً والأمور إلى انقلاب]
[ولو كان الكثير يطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب]
[ولكن قلما استكثرت إلا سقطت على ذئاب في ثياب]
[فدع عنك الكثير فكم كثيرٍ يُعاف وكم قليلٍ مستطاب]
[فما اللجج الملاح بمُرويات وتلقى الريَّ في النُطَف العِذاب] (٢)

ولما غنى عَلّويه (٣) المأمونَ (٤) قول الشاعر (٥) :

---

(١) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي الاصل كان جده من موالي بني العباس ولد ونشأ ببغداد ومات فيها مسموماً (٢٢١ – ٢٨٣) .

(٢) الزيادة من ديوان ابن الرومي للكيلاني ١٣٩ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن سيف الأعسر قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ : ١٢٣ كان عَلّويه المغني أحذق الناس في الرواية وفي الحكاية وفي صنعة الغناء وجودة الضرب وفي الاطراب وحسن الخلق .

(٤) هو أبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد سابع الخلفاء من بني العباس في العراق وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه ولد سنة ١٧٠ وولي الخلافة سنة ١٩٨ وتوفي سنة ٢١٨ .

(٥) انظر رسالة أبي حيان ٢٤ وفي محاضرات الراغب الاصفهاني ٢ : ٩ وغرر الخصائص ٤٦٠ سمع المأمون أبا العتاهية ينشد : وإني لمحتاج الخ البيت فقال : خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب وزاد في غرر الخصائص : وقبل هذا البيت :

عذيري من الاخوان لا من جفوته صفا لي ولا مَن كنت طوع يديه

وانظر ديوان ابي العتاهية ٢٨٧ والاغاني ١٠ : ١٢٠

وإني لمحتاجٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروق ويصفو إن كدرت عليه
عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن صرت طوع يديه

استعاده المأمون مراتٍ ثم قال: هات ياعلويه هذا الصاحب وخذ الخلافة

وقال [القاضي][1] ابن معروف:

إحذر عدوّك مرةً واحذر صديقك ألف مرّه
فلربما انقلب الصديـ ـقُ فكان أعلمَ بالمضرّه

وقال ابن السماك[2]: لا تخف ممن تحذر، ولكن احذر ممن تأمن[3]

وقال أبو العيناء[4]: من أراد السلامة فليتّهم من يأمن إليه.

وقال ابن المعتز[5]: إنما أذهب ملكي ثقتي بالناس.

---

(١) زيادة من كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ص ١٩٠ والبيتان في شرح النهج ٤ : ٣٣٨ من غير نسبة وهما في محاضرات الراغب ٢ : ٩ منسوبان إلى علي بن عيسى وفي شرح أدب الدنيا والدين ٣١٥ نسبا إلى ابن الرومي ولم أجدهما فيما لدي من أجزاء ديوانه.

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل القاص" الكوفي الزاهد قدم بغداد زمن الرشيد ثم رجع إلى الكوفة فمات فيها سنة ١٨٣.

(٣) انظر روضة العقلاء ٧٧

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي بالولاء. من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً. اشتهر بنوادره ولطائفه، كف بصره بعد الاربعين من عمره، مولده بالأهواز، ومنشؤه ووفاته في البصرة (١٩١ — ٢٨٣).

(٥) انظر حاشية الصفحة الـ ٣٣ رقم ١

الباب الرابع

في ذم الأصحاب والأخلاء

وما ينطوون عليه من المضرة والبلاء

قيل لبعض الحكماء : ما أعمُّ الأشياء نفعاً ؟ قال : فقدُ الصديق الشرّير .

وقال أبو الأسود الدُّؤلي (١) : ماخلق الله خلقاً أضرّ من الصاحب السوء .

وقال سيف الدولة بن حمدان (٢) : ماعامت منذ ملكت نديماً ، إلا وانكشف لي مالا أُريده .

(١) هو ظالم بن عمرو بن جندل ، واضع علم النحو ، كان معدوداً في الفقهاء والاعيان والامراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب من التابعين . سكن البصرة ثم ولي إمارتها إلى مقتل سيدنا علي ومات فيها سنة ٦٩ وكان مولده قبل الهجرة بـ ١٦ سنة .

(٢) هو الامير أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي صاحب المتنبي وممدوحه ولد بميافارقين سنة ٣٠٣ ودفن فيها وملك واسطاً وما جاورها ثم امتلك دمشق وعاد سنة ٣٣٣ إلى حلب فكان أول من ملكها من ملوك بني حمدان وتوفي فيها سنة ٣٥٦ .

وقال حاتم الطائي (١) ماظلم قلبي شيء كأذية الصديق ، ائتمنه فيخونني.

وقال عثمان بن منصور :

وصاحبٍ كان لي وكنت له أشفقَ من والدٍ على ولد
كنا كساقٍ تسعى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطت إلى عَضُد
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوي وحلّ الزمان من عُقَدي (٢)
إحولَّ عني وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي
[وكان لي مؤنساً وكنت له ليست بنا وحشة الى أحد] (٣)
حتى إذا استرفدت يدي يدَه كنتُ كمسترفدٍ يدَ الأسد

وقال بعضهم :

في سعة الأرض وفي أهلها مستبدَلٌ بالخِلِّ والجار
فمن دَنا منك فأهلاً به ومن تنا[ءى] فإلى النار

وقال عبد الحميد بن محمد :

من سرّه من جميع الناس كلهم ألاّ يكون من الإخوان منتصفا

---

(١) هو أبو عدي حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي فارس شاعر جاهلي يضرب المثل بجوده . قدم الشام ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) قبل الهجرة بنحو ٤٥ سنة .

(٢) فى الأصل : ومد الزمان في عضد .

(٣) زيادة من رسالة أبي حيان ٥٨ وعيون الاخبار ٣ : ٨١ والمحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٧ وذكر البيت الذي قبله في عيون الاخبار أيضاً ٣ : ١١١ وفي الموضعين لم يسم القائل . ونسبها في العقد الفريد ١ : ٣١٨ إلى ابن أبي حازم

فليس من أحدٍ أحمدتَ سيرته　　في عدله[1] لم تنل من ظلمه طرَفا
من ذا الذي إن رأى صرف الوداد صفا　　وإن وفيتَ له بالود منك وفى

العتبي[2] :

لي صديقٌ يرى حقوقي عليه　　نافلات وحقَّه الدهر فرضا
لو قطعت الجبال طولاً إليه　　ثم من بعد طولها سرت عرضا
[لرأى ما صنعتُ غير كبيرٍ　　واشتهى أن أزيد في الأرض أرضا][3]

لبعضهم[4] :

الناس أتباع من دامت له النعمُ　　والويل للمرء إن زلّت به القدمُ
المال زينٌ ومن قلّت دراهمه　　حيٌّ كمن مات إلا أنه صنم
مالي رأيت أخلائي وخالصتي　　إثنان مستكبر عني ومحتشم
لما رأيت الذي يُبدون قلت لهم　　أذنبتُ ذنباً ؟ فقالوا ذنبك العدم

---

(١) في الأصل : من عذله .

(٢) هو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن ابي سفيان اديب كثير الاخبار له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها سنة ٢٢٨

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل وقال الحافظ ابن حبان في روضة العقلاء ١٠٣ وما أشبّه عشرة الحمق إلا بما أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي وذكر الابيات الثلاثة . وهي مذكورة أيضاً في العقد الفريد ١ : ٣١٣ مصدرة بقوله : وأنشد العتبي .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عين الأدب والسياسة ص ٩١ لابن حبناء التميمي وفي بعض ألفاظها اختلاف

لبعضهم :

الناس ما استغنيت كنت أخاهم ... فإذا افتقرتَ إليهمُ فهمُ العدى
ذو المال عندهمُ يسود بماله ... ويزول سوددُه إذا افتقر الفتى
والناس في هذا الزمان كذا كمُ ... إلا القليل وأين ذلك يا ترى

قيل : عُرض على أبي مسلم [1] الخراساني فرسٌ جوادٌ فقال : لأي شيءٍ يصلح هذا الجواد ؟ قالوا : يُغزى عليه في سبيل الله ، [قال : لا] قالوا : فيُتجمل به إذا رُكب ، قال : لا قالوا : فلمَ يصلح ؟ [قال] : يركب ويُهرَب عليه من الصديق السوء .

لبعضهم :

ربما يرجو الفتى نفعَ الفتى ... خوفُه أولى به من أمله
رب من يرجو به دفعَ أذى ... سوف يأتيك الأذى من قِبَلهْ

أبو بكر البلدي [2] :

---

(١) في الأصل : ابن مسلمة (انظر العقد الفريد ١ : ٣١٤ ومجاني الادب ١ : ٧٥) . وابو مسلم اسمه عبد الرحمن بن مسلم وهو مؤسس الدولة العباسية ولد سنة ١٠٠ ولما مات السفاح خاف المنصور أن يطمع ابو مسلم بالملك فقتله سنة ١٣٧ وكان فصيحاً مقداماً داهية حازماً يروي الشعر ويقوله .

(٢) هو ابو بكر محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي نسبة الى بلدة في الجزيرة اسمها بلد وهو من حسناتها ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره وله ملح وتحف وغرر وطرف . وجاء وفي شرح مقامات الحريري ١ : ٢٥٣ الخباز البلوي وجاء اسمه في الاصل هكذا ابو بكر البكري وفي الكشف والبيان الورقة ٢٣٦ عبد الله البلدي النحوي وكل ذلك تصحيف (انظر يتيمة الدهر ١ : ٥٣٠) والبيتان في اساس الاقتباس ٩٨ من غير نسبة

ألا إن إخواني الذين اتخذتهم　　أفاعي رمالٍ ما تقصر في لسعي
ظننتُ بهم خيراً فلما بلوتهم　　حللتُ بوادٍ منهمُ غير ذي زرع

إبراهيم بن العباس[١] :

لا خير في صحبة خوّانِ　　يأتي من الغدر بألوانِ
فلعنة الله على صاحبٍ　　له لسانان ووجهان

وما أحسن قول [القائل] :

وإخوانٍ حسبتهم دروعاً　　فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهمُ سهاماً صائباتٍ　　فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا [قد] صفت منا قلوبٌ　　لقد صدقوا ولكن عن ودادي
[وقالوا قد سعينا كل سعيٍ　　لقد صدقوا ولكن في فساد][٢]

منصور الفقيه[٣] :

الناس بحرٌ عميقٌ　　والبعد منهم سفينه
وقد نصحتك فانظر　　لنفسك المسكينه[٤]

---

(١) هو ابراهيم بن العباس بن محمد الصولي كاتب العراق في عصره كتب للمعتصم والواثق والمتوكل توفي سنة ٢٤٣ ونقل ابن خلكان انه كان اشعر نظرائه الكتاب ، وأنه أنعت الناس للزمان واهله غير مدافع .
(٢) انظر اساس الاقتباس ١٣١ والبيت الاخير زيادة من مجاني الادب ٣ : ١٢٦
(٣) هو ابو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي فقيه شافعي من الشعراء اصله من رأس عين بالجزيرة وسكن مصر فتوفي فيها سنة ٣٠٦
(٤) كذا في الاصل والعزلة ٦٠ وفي طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ : ٣٢٠ المستكينه

الباب الخامس

في وصف أهل الزمان والوقت[1]

وما عندهم من الشر والمقت

قال صلى الله عليه وسلم : كل عام ترذلون[2] . فما ظنك بزماننا هذا ؟

وقال عليه الصلاة والسلام : خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم هَمَجٌ رعاع[3] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نحن في زمانٍ لم يبقَ من

---

(١) في الاصل : اهل الوقت والزمان

(٢) هو من كلام الحسن البصري في رسالته ، وقد سئل عنه الحافظ ابن حجر — كما في المقاصد الحسنة ص١٥٢ فقال : « انه لا أصل له بهذا اللفظ » وقد ذكروا في نحو معناه أحاديث كثيرة منها حديث أنس مرفوعاً الى النبي ﷺ (لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم) أخرجه البخاري في صحيحه ٨ : ٩٠ وغيره (ن)

(٣) هذا الحديث صحيح متواتر عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو هريرة وعمر بن الخطاب وغيرهم ولكن بلفظ : خير الناس قرني ، ولفظ خير امتي قرني . وليس في آخره « ثم همج رعاع » فهذه الجملة لا اصل لها في شيء من طرقه الكثيرة التي وقفنا عليها وخرّجناها من الكتب الستة والمسانيد والمعاجم وغيرها . (ن)

أهله إلا حُثالةٌ كحُثالة القَرَظ[1] ، وقُراضةٌ كقراضة الجَلَم[2] .
فما ظنك بزماننا هذا ؟

لبيد[3] :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب
لا ينفعون ولا يُرجَّى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يطرب[4]

(١) القرظ : شجر يدبغ به وفي لسان العرب ١٣ : ١٥٠ وحثالة القرظ نفايته ومنه قول معاوية في خطبته : فأنا في مثل حثالة القَرَظ يعني الزمان وأهله

(٢) القراضة : فضالة مايقرضه الفأر من خبز أو ثوب أو غيرهما ، وكذلك قراضات الثوب التي يقطعها الخياط وينفيها الجلم وهو المقراض . وفي الاصل : وقراظة كقراظة الحلم وهو تصحيف .

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري أحد الشعراء الفرسان الاشراف في الجاهلية أدرك الاسلام وسكن الكوفة وعاش طويلاً وهو احد اصحاب المعلقات توفي سنة ٤١

(٤) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب وقال : ويروى « وإن لم يشغب » انظر هامش الاصابة ٣ : ٣٢٦ وفي الاصل :

لاينفعون ولا يرجى نيلهم ولايعاب قايلهم وإن لم يصب

وفي كتاب العزلة ٧٢ : قال ابو سليمان : حدثنا ابراهيم بن فراس ، حدثنا احمد بن علي بن سهيل قال : حدثنا العباس بن الحسين قال ابو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تتمثل بهذين البيتين :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتحدثون مخانةً وملاذة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

قال : ابو معاوية : قالت عائشة رضي الله عنها : ويح لبيد لو أدرك هذا الزمان قال عروة : وكيف لو عاشت عائشة رضي الله عنها الى هذا الزمان ؟ قال هشام : فكيف لو بقي عروة الى هذا الزمان؟وقال ابومعاوية : فكيف لو بقي هشام الى هذا الزمان ؟ وقال العباس بن الحسين نحو ذلك . وقال احمد بن علي ، وقال ابن فراس مثله . (وانظر الاصابة ٣ : ٣٢٧ والعقد الفريد ١ : ٣١٤)

وقال أبو الدرداء [١] : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وقد صاروا شوكاً لا ورق فيه .

وقال الأحنف بن قيس [٢] : لم يبق في الناس إلا حاسد نعمة ، أو شامت بمصيبة [٣] .

ونظم بعضهم فقال :

ولما بلوت الناس أنظر [فيهمُ] أخا ثقةٍ أرجوه عند الشدائد
فلم أرَ فيما ساءني غير شامتٍ ولم أرَ فيما سرّني غير حاسد

لبعضهم :

تولت بهجةُ الدنيا فكل جديدها خَلَقُ
وخان الناسُ كلهمُ فما أدري بمن أثق
كأنَّ معالم الخيرا تِ سُدّت دونها الطرق

(١) كذا في الأصل ، وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٢ ، وشرح الأحياء ٦ : ٣٨٥ ، وغرر الخصائص ٤٦٥ منسوباً إلى ابي الدرداء . وفي فضل الكلاب ٣ روى عن ابي ذر الغفاري ، وروي في العزلة ٧٥ مسنداً إلى ابى مسلم الخولاني .

(٢) هو الضحاك بن قيس بن معاوية التميمي الملقب بالأحنف سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، ولد في البصرة قبل الهجرة بثلاث سنوات وتوفي سنة ٦٧ وأخباره كثيرة طبعنا بعضها في رسالة ملخصة من تهذيب تاريخ ابن عساكر بعنوان (الأحنف بن قيس) .

(٣) عزيت هذه الكلمة في العقد الفريد ١ : ٣١٧ والعزلة ٢٢ إلى عروة بن الزبير ، وفي شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٢٠ قيل لسعد بن أبي وقاص : ألا تأتي المدينة ؟ قال : ما بقي فيها إلا حاسد نعمة ، أو فرح بنقمة .

فلا عقلٌ ولا حسبٌ ولا دينٌ ولا خُلُق (١)

البستي (٢) :

لقاءُ أكثرِ من زاروكَ أوْزارُ فلا تبالِ أغابوا عنكَ أو زاروا
لهم لديكَ إذا جاءوكَ أوطارُ إذا قضوْها تنحَّوا عنكَ أو طاروا
[أخلاقهم - فتجنَّبهنَّ - أوعارُ وقربهم مأثمٌ للمرءِ أو عار] (٣)
[أوضار أفعالهم تعدي مُعاشرهم فلا يروكَ فقدْ مأمن رأوا ضاروا] (٤)

عبد المحسن الصوري (٥) :

بُليتُ بقومٍ مالهم في الندى يدٌ (٦) ولا قدمٌ تسعى لهم في المنافع
إذا نظرت عيني إليهم تنجست (٧) برؤيتهم طَهَّرتها بالمدامع

(١) انظر رسالة أبي حيان في الصداقة والصديق ٤٣ فقد ذكر فيها البيت الثالث ثم الثاني ثم الرابع ولم يذكر الأول .

(٢) انظر حاشية الصفحة الـ ٣٩ رقم ٣

(٣) زيادة من فوائد الحسين بن محمد النيسابوري الواعظ ، وهي عندي مخطوطة وعليها سماعات أقدمها سنة ٦٦٠ ، وقد روى النيسابوري فيها الأبيات الثلاثة بسنده إلى أبي الفتح علي بن احمد البستي مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وهي في يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٢

(٤) زيادة من ديوان البستي ٤٠

(٥) هو عبد المحسن بن محمد بن احمد الصوري ، شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني من اهل الشام ، توفي سنة ٤١٩ ، قال ابن خلكان : وعمره ثمانون سنة او اكثر .

(٦) في الأصل : « ما لهم في العوايد » وأُراه من التصحيف .

(٧) كذا في الأصل ولم اجده في غيره ، ولعل الصواب : « إذا نظرت عيني لهم فتنجست » .

الطغرائي (١) في لامية العجم :

أعدى عدوّك أدنى من وثقتَ به ... فحاذرِ الناس واصحبهم على دَخَل

وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعوّل في الدنيا على رجل

غاض الوفاءُ وفاض الغدر وانفرجت ... مسافةُ الخلف بين القول والعمل

الوزير النحاس الحلبي :

وليس من صاحبٍ إلا أقول له (٢) ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن

غاض التناصف بين الناس كلهم ... فليس تلقاه في إلفٍ ولا سكن

ابن المعتز (٣) :

بلوتُ أخلاَّءَ هذا الزمانِ ... فأكثرتُ بالهجر منهم نصيبي

وكلهمُ إن تأملته ... صديقُ العيانِ عدُوُّ المغيب (٤)

علم الهدى :

ذهب الذين إذا أتيتَ إليهم (٥) ... حسناً أتوك بمثله أو أحسنا

وبقيت في قومٍ لئامٍ دأبهم ... كفرانُ نعمة منعمٍ إن أحسنا

---

(١) هو مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي شاعر من الوزراء الكتاب ، مولده بأصبهان سنة ٤٥٥ ، قتله السلطان محمود السلجوقي سنة ٥١٣

(٢) في الأصل : « ولا صاحب من اقول له » .

(٣) انظر حاشية ص ٣٣ رقم ١

(٤) في الأصل : « صديق العيان والمغيب » وانظر ديوان ابن المعتز ١٨١

(٥) في الأصل : لهم .

الباب السادس

فى أن الكلاب خير من كثير ممن يلبسون الثياب

قال بعض الحكماء من كانت فيه ست خصال فهو إنسانٌ كامل ، وإن عدم واحدةً منهن ، فقد عدم سدسَ الإنسانية ، وإن عدم الكلّ فليس بإنسان . وهي الإلف ، والحياء ، والعقل ، والأنفة ، والشكر ، والرجاء . قيل : وهذه كلها مجتمعةٌ في الكلب .

أما الإلف : فإنه يُضرب ويُجفى ويقصى ولا يزداد إلا قرباً ودنواً من أصحابه ، وكفى شرفاً قصة أهل الكهف . وقال الشاطبي [1] :

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله   وما يأتلي في نصحهم متبذّلا [2]

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن فِيرُّه بن خلف الرُّعيني ، إمام القراء ، كان ضريراً ، ولد بشاطبة في الأندلس سنة ٥٣٨ ، وتوفي بمصر سنة ٥٩٠ ، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة ، فاذا قرئ عليه صحيحا البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه .

(٢) هو البيت التاسع والثمانون من قصيدته في القراءات المعروفة بالشاطبية .

وأما حياؤه وعقله : ففي قبوله الأدب وتصرفه عند الإشارة وغيرها [1] .

وأما شكره : ففي صبره على فقر صاحبه ، إذ هو يصحبه وإن لم يجد ما يقوته ، ولا يتركه وينزع إلى المواضع التي يجد فيها الخبز .

وأما رجاؤه : ففي بصبصته بذنبه وتملّقه .

---

(١) هكذا في الأصل لم يذكر الخصلة الرابعة وهي الأنفة ، وقد قرأت الرسالة التي ألفها المرزباني (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) كما قرأت ما جاء في الكلاب من حياة الحيوان فلم أجد لهذه الخصلة فيهما ذكراً .

الباب السابع

في آداب العشرة إن كان لا بد منها

في الأثر : عاشروا الناس بأخلاقهم [(١)] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من لانت كلمته ، وجبت محبته . فعلى المعاشر أشياء منها : لين الكلمة ، وصحة الوفاء ، وأن لا يلقى صاحبه إلا بما يحب ، ولا يؤذي جليسه ، ويبدؤه بالسلام ، ويوسع له في المجلس ، ويدعوه بأحب أسمائه إليه ، ويصبر على جفائه ، ويقتصد في عشرته .

---

(١) لم أجد هذا الأثر بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث التي عندي ، وإنما رواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٤٣ عن أبي ذر مرفوعاً بسند صحيح على شرط مسلم بلفظ : خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم (ن) .

الباب الثامن

في صفات الذين يصادقون

في الحديث : المرء على دين خليله ، فلينظر المرء من يخالل [1] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لا تصحبْ أخا الجهل وإيَّاكَ وإيَّاه

فكم من جاهل أردى حليماً حين واخاه [2]

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

---

(١) قال العراقي : رواه ابو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح ان شاء الله . وقال السيد مرتضى الزبيدي في شرح الاحياء ٦ : ١٩٨ : وكذلك رواه الطيالسي والبيهقي والقضاعي من طريقه والعسكري . وتوسع ابن الجوزي فأورده في الموضوعات . اهـ . يقول مصححه : ورواه الخطابي في العزلة ٥١ بسنده إلى أبي هريرة أيضاً ثم قال : قوله المرء على دين خليله معناه لا تخالّ إلا من رضيت دينه وأمانته فانك إذا خاللته قادك إلى دينه ومذهبه فلا تغرر بدينك ولا تخاطر بنفسك فتخالّ من ليس مرضياً في دينه ومذهبه . وكذلك أورده الراغب الاصفهاني في الذريعة ١٤٤ وقال : أي يجذبه خليله إلى دينه .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ : ٧٩ ورسالة أبي حيان ١٠٠ وشرح الأحياء ٦ : ١٩٩ وآداب الصحبة للسلمي (مخطوط) : (آخاه) وقال أبو حيان في رسالته ١٥٢ يقال : آخيت الرجل وواخيت يقلبون الهمزة واواً كما يقال آسيته وواسيته .

[قياس النعل بالنعل إذا ما هو حاذاه][1]

[وذو العُرّ إذا ما احتكّ ذا الصحة أعداه][2]

وللشيء على الشيء مقاييسٌ وأشباه

[وللقلب على القلبِ دليلٌ حين يلقاه][3]

فالواجب أَن تختار للصداقة العاقل الحسن الخُلق ، الطائع لله تعالى فإن العاصي لا يُؤمن تغيره ، الصادق فإنك من الكاذب على غَرَر ، الزاهد في الدنيا لا الحريص عليها .

المصادق لصديق العدوّ كعدوك[4] .

---

(١) زيادة من الآداب الشرعية ٣ : ٥٧١

(٢) زيادة من روضة العقلاء ٨٩

(٣) زيادة من روضة العقلاء أيضاً ١٠٣ والعزلة ٥٣ ، وذكر الخطابي من رواية الأصمعي أن سيدنا علياً قال هذه الأبيات لرجل كره له صحبة أحمق ، وفي روضة العقلاء ١٠٢ كان فتى يصحب علي بن أبي طالب فرآه يوماً يماشي رجلاً متهماً فقال له .. الخ ، وفي عيون الأخبار قال أبو قبيل : أسرت ببلاد الروم فأصبت على ركن من أركانها : « ولا تصحب أخا الجهل » الخ .

(٤) في الأصل : « الصادق لصديق العدو لعدوك » ولا معنى له ، وفي رسالة أبي حيان ٨٥ قال ابن المرزبان الكاتب : سمعت الخليفة المطيع يقول : صديقك صديقك ، وصديق صديقك صديقك ، وعدوك عدوك ، وصديق عدوك عدوك ، وعدو صديقك عدوك ، وعدو عدوك صديقك . وفي العقد ١ : ٣٣٧ وفي الخلاة ٨٩ قال غيره : من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً وينسب نحو هذا القول إلى سيدنا علي (انظر شرح النهج ٤ : ٣٨٤)

صديق صديقي داخلٌ في صداقتي صديقُ عدوي ليس لي بصديق[1]

وقال لقمان[2] [لابنه : يا بني][3] إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه [قبل ذلك][3] ، فإن أنصفك [عند غضبه][3] وإلا فتجنبه .

لبعضهم :

ما نالت النفس على شهوةٍ ألذَّ من ود صديقٍ أمينْ[4]

من فاته ودُّ أخٍ صادقٍ فذلك المحروم حقَّ اليقينْ

وجاء رجلٌ إلى مطيع بن إياس[5] فقال له : قد جئتك خاطباً

---

(١) في رسالة أبي حيان ٧٥

عدوٌ صديقي داخلٌ في عداوتي وإني لمن ودّ الصديق صدوق

وانظر أساس الاقتباس ٣٥ والعقد الفريد ١ : ٣٢٧ وشرح النهج ٤ : ٤٠ والآداب الشرعية ٣ : ٥٧٤

(٢) هو لقمان بن باعوراء ابن اخت سيدنا أيوب أو ابن خالته وأكثر العلماء على أنه كان حكيماً . قال ابن عباس : لم يكن نبياً ولا ملكاً ، ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن (انظر دائرة المعارف لوجدي ٨ : ٣٧ وحياة الحيوان « الشاة » وشرح مجاني الأدب ١ : ٧) .

(٣) زيادة من روضة العقلاء ٧٣ وانظر عيون الأخبار ٣ : ٢٩٠ ورسالة أبي حيان ١٦٦ والآداب الشرعية ٣ : ٥٧٣

(٤) هكذا أصلحته ثم رأيته كذلك في آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (مخطوط) . وفي الأصل :

ما نالت النفس على شهرة الذين مثل ود صديق أمين

(٥) مطيع بن إياس الكناني . شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان ظريفاً مليح النادرة مولده ومنشؤه بالكوفة أقام ببغداد زمناً وولاه المهدي العباسي الصدقات بالبصرة فتوفي فيها سنة ١٦٦

مودتك ، قال : أنكحتك على [شرط أن تجعل صَداقها] [١] أن لا تقبل فيَّ مقـالة قائل ، ولا تشمت بي عاذلاً ، وأن تكون لي كما أكون لك .

وقال ابن الجهم [٢] : للصديق على الصديق ثلاثة أشياء : كتمان السر في حديث الخلق ، والمواساة عند الشدة ، وإقالة العثرة .

فهذه صفات الصديق ، وما إخال واحدةً منهـا اليوم في رفيق . من أراد السلامة والاستنفـاد ، فعليه بالوحدة والانفراد . فما كل واحد يقدر أن يصبر .

وما كلُّ القلوبِ تُطيق حملاً إذا رُزئت بحُملان الخليل
ولا كلُّ الرجال لهم عقولٌ تقيم إذا أصيبوا بالوبيل

اللهم أرشدنا وثبّتنا على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فهذا آخر ما أردتُ إيراده في هذه الرسالة

المسماة بالشهاب الثاقب في ذم الخليل

والصاحب للجلال السيوطي

---

(١) الزيادة من غرر الخصائص ٤٢٨ وانظر رسالة أبي حيان ١٣ والعقد الفريد ١ : ٣٤٠

(٢) كذا في الاصل وفي رسالة أبي حيان ٢٣ قال أبو العتاهية : قلت لعلي ابن الهيثم : مايجب للصديق ؟ قال : ثلاث خلال : كتمان حديث الخلوة الخ .

ذكرى

أتذكر الحبَّ وعهدَ الإخاءْ ... أيامَ لا نعرفُ إلا الوفاءْ
ندينُ بالحقّ ولا نأتلي ... نكرعُ بالإخلاص كأسَ الصفاء
يحنُّ كلٌّ لأخيه إذا ... غاب ويرجو قربه واللقاء
أذاكرٌ ما كان من ألفة ... أذاكرٌ ياقلبُ أم أنتَ ناسْ

لله أوقاتٌ تقضَّتْ لنا ... ما كان أسناها وما أنضرا
كانت ربيعاً مُونِقاً باسماً ... يضوع طيباً وشذًى أعطرا
مرّتْ كحُلمٍ زاخرٍ بالرؤى ... وأبقت الذكرى لنا أعصرا
يا ليتَ شعري والمنى روضُها ... صوّحَ هل تذكرُ أم أَنت ناسْ

يا بدرُ ما أحلاكَ في ناظري ... وما أَحبَّ الزمنَ الغابرا
كنتَ جلاءَ العينِ والخاطرِ ... ومُجتلى آمالنا السافرا
تجلو ظلامَ دهرِنا الداهرِ ... فنجتلي فيك السنا الزاهرا
فقل لذاك الخِلّ إما رنا ... مالك لا تذكر هل أَنت ناسْ

يا أيها الناسي ألا فادَّكرْ ... من ليس عن خلّانه ساليا
يحفظ منهم من دنا أو نأى ... ويجتبيهم دانياً نائيا
لم تَصرفِ السنون في صرفها ... عن الوفاء قلبَه الوافيا
إن كان من ينسى أوِدّاءه ... فلن يراه الناسُ يوماً بناسْ

أحمد عبيد

الفهارس

١ – فهرس المقدمة

٢ – فهرس الشهاب الثاقب

٣ — فهرس الأعلام

الواردة تراجمهم في الحواشي مرتبة على حروف الهجاء

(تنبيه) الأرقام الكبرى للصفحات ، والصغرى التي في أعلاها للحواشي